مجلة أنثروبولوجيا ISSN: 2437-041X
مجلد: 07 عدد: 02 السنة: 2021 E-ISSN:2588-2325

مكانة العمل الحرفي كتنظيم اجتماعي وتصنيفاته في المجتمع الإسلامي مقاربة سوسيو انثروبولوجية

Status and classific of craft work in Islamic society an anthropological study

فريدة قدور *، جامعة تلمسان، hayetdada13@gmail.com
عبد المجيد عطار، جامعة تلمسان، attar.abdelmadjid@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2021/06/14 تاريخ القبول: 2021/12/02 تاريخ النشر: 2021/12/10

ملخص:

يتطلع البحث في تقديمه إلى توضيح العلاقة بين الإنسان وبيئته في شكل ممارسات، والتي يمثلها العمل بشقيه الفكري واليدوي، ولقد ركزت المقاربات السوسيولوجية على البحث عن العمل كظاهر إنسانية واجتماعية شاملة ذات أبعاد متعددة منها البيولوجية والنفسية واجتماعية هذا ما عبر عنه العالم مارسيل موس، والعمل هو العنصر المحدد لوجود الإنسان وتحقيق ذاته وممارسة حياته وإشباع حاجاته، وانطلاقا من هذه الأهمية فقد عمل المجتمع الإسلامي على الاهتمام به وتقديسه باعتباره من مقومات الحياة ومن بين أنواع العمل المختلفة.

وغالبا ما ينظر إلى العمل الحرفي من بين أهم الأنشطة التي تدخل في إطار المفهوم السوسيولوجية العام للعمل لارتباطه ببيئته وتقاليد وعادات المجتمع الذي تشكل فيه.

وانطلاقا مما تقدم يتطلع هذا البحث، إلى تقديم مقاربة حول العمل الحرفي كتنظيم اجتماعي وثقافي واقتصادي داخل المجتمع الإسلامي باعتباره جزء من عقيدة الأمة ومرجعيتها.

الكلمات المفتاحية: المكانة، العمل الحرفي، التنظيم الاجتماعي، المجتمع الإسلامي، المقاربة.

*المؤلف المرسل

Abstract:

paper seeks to illustrate the relationship between human beings and their environ ment in the form of practices, which is represented by both intellectual and manual work.

The sociological approaches focus on the search for work as a comprehensive human social phenomenon with multiple dimensions including biological, psychological and social.

This is what the scientist Marcel Moss said. Work is the defined element of human existence, of self-fulfillment, of the exercise of life and of the satisfaction of needs. This importance of work, the Muslim community has paid attention to it and sanctified it as one of the components of life and among the different types of work. Craft work is often considered one of the most important activities in the general socio-anthropological concept of work because of its environment and the traditions and customs of the society in which it was formed. Based on the above, this research aims to present an approach to craftwork as a social, cultural and economic organization within the Muslim community within the framework of the faith and authority of the Ummah.

Keywords: Status, craft work, social organization, Islamic society, approach.

مقدمة:

بما أن الإنسان كائن عضوي حي، يعيش في مجتمعات تسودها مجموعة من النظم والانساق الإجتماعية التي تترعرع في ظل ثقافات معينة ويقوم بأعمال متعددة، ومن بين هذه الأعمال نجد العمل الحرفي هذا الأخير الذي ارتبط بالمعاش كظاهرة اجتماعية واقتصادية، لم تعتبر منعزله عن غيرها من الظواهر الإنسانية الأخرى وهذا مركز عليه المقاربات السيوانثروبولوجيا في البحث عن العمل كظاهرة اجتماعية، وليس نقط كمجرد نشاط إقتصاديا عادي، بإعتباره فضاء للتفاعل الإجتماعي، الذي يوضع العلامة بين الإنسان والبيئة وهذا ما يجسد في شكل ممارسات التي يمثلها العمل بشقيه الفكري واليدوي. كما أن قيام العمل يرتكز على عنصر الذكاء الذي يؤنس الطبيعة ويعقلها، وهذا ما يفسر تفاعله مع الطبيعة بعقله يستعملها وهذا التفاعل لابد له من خصائص تجمعه بالفاعلية والوعي والادارة والالزام

والمنفعة. ولقد تناول ابن خلدون ظاهرة العمل باعتبارها من الظواهر الاقتصادية، وجعل العمل سعي جاد لكسب الرزق وان الانسان لا يمكن ان يعيش بدون عمل، ومن ثم ترتفع القيمة الاقتصادية للمنتج وتنخفض حسب طبيعة العمل من حيث الجودة والرداءة، كما ينقص العمل ويضيع بانهيار العمران وخرابه.

الإشكالية:

يعتبر العمل في الإسلام فريضة شرعية لا تقل أهمية عن فريضة العبادة، كما يشكل العمل رمز لانتماء الفرد إلى مجتمعه.

وذلك لان العمل أو المهنة التي يزاولها الإنسان لها اثر مباشر في أخلاقه وسلوكه، وهذا ما اكده ميشل في قوله:" العمل ليس فقط ذا أهمية إقتصادية، ولكن أيضا وسيلة خلاص وأداة أخلاقية، وهو ايضا رمز لوضعية إجتماعية" (Michel, 2007, p. 15) .

ولا يتم ذلك الا من خلال التفاعل بين الأفراد ضمن التنظيم الإجتماعي والذي يكسب صاحبه مكانة من خلال الإنخراط في هذه الشبكات الإجتماعية المهنية، وعليه يعتبر العمل الحرفي ظاهرة سلوكية متجدرة في المجتمع الإسلامي ومحور العقيدة التي هي عماد الشريعة الإسلامية وقد رفع المولى عزوجل مكانة العمل والعاملين الى مقام العبادة والعابدين.

ومنه جاءت التساؤلات التالية:

1) بإعتبار العمل الحرفي من المواضيع التي اهتمت بها الدراسات الأنثروبولوجيا_ فكيف كان ينظر اليه؟

2) وهل يعتبر مجرد ممارسات تحاكي التصاق الانسان بالطبيعة ام تتعدى ذلك في التعبير عن شبكات علائقية تنمو ضمن تنظيمات اجتماعية؟

الفرضيات:

أما فرضيات البحث فجاءت على النحو التالي:

1) للعمل الحرفي مكانة هامة في المجتمع الإسلامي وهذا نظرا لما يلعبه هذا الأخير من تنظيم اجتماعي وثقافي في المجال الاقتصادي.

2) يعتبر العمل الحرفي ضرب من ضروب الحياة الإسلامية في حد ذاتها لما يلعبه هذا الأخير من دور بارز ومهم في حياة الفرد، رغم اعتبار العمل فاعلية محتقرة عند البعض إلا أن الدين الإسلامي عمل على تقديسه باعتباره مكسب رزق وعبادة.

أهداف البحث:

يهدف البحث بالدرجة الأولى إلى توضيح أهمية العمل في حياة الفرد، باعتباره ضمانة أساسية لاستمرار الحياة البشرية ولكونه يمثل ردة الفعل الطبيعية لتلبية حاجات الإنسان. وجاء هذا البحث لتوضيح ما جاء به القران الكريم من آيات التي تحث على العمل وتؤكد أهميته من للمجتمع وهذا انطلاقا قوله تعالى: "وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُون . (سورة التوبة، الاية 105)

ولتوضيح هذه الأهداف كان لابد منا للخضوع للمحطات التالية لبناء الموضوع منهجيا.

1. مقاربة مفاهيمية:

تعد عملية تحديد المفاهيم الأساسية للدراسة محطة مهمة في البحث العلمي، لكونها تعكس توجه الباحث على الصعيد النظري والمنهجي، لذلك حاولنا إعطاءها تحديدا داخل هذا المقال

1.1 مفهوم الحرفي الفردي:

تم تعريفه لأول مرة في المادة 03 من القانون رقم82_12 المتضمن القانون الأساسي للحرفي والمؤرخ في 28 أوت 1982، وتم تعديل مفهومه سنة 1996 بموجب الأمر 96_01 ويعرف على أنه:"كل شخص طبيعي مسجل في سجل الصناعة التقليدية والحرف ويمارس نشاطا تقليديا من الأنشطة، يثبت تأهيلا ويتولى بنفسه مباشرة تنفيذ العمل وإدارة نشاطه وكبيرة وتحمل مسؤوليته. (المؤرخ في 14/01/1996)

1.2 مفهوم العمل لغويا:

من" عمل – عملا والجمع أعمال، يقصد به المهنة والفعل، والعامل من العمل في مهنته أو صنعة ". (مصطفى، بدون تاريخ، صفحة 628).

1.3 مفهوم العمل اصطلاحا:

فالعمل هو "الشرط أولي للوجود الإنساني، وبفضله خلق الإنسان نفسه وحقق وجوده". (كرم، 1987، صفحة 314) وفي هذا المنحنى أعطى "ابن خلدون" لمقولة العمل أهمية خاصة في المجال الاقتصادي والاجتماعي حيث أكد في مقدمته على ضرورة العمل، باعتباره ظاهرة اجتماعية لازمة للعمران البشري، وإلى أن " الإنسان لابد له من القوت الذي لا يحصل إلا بالتعاون الجمعي. (عبد السلام، 2005، الصفحات 282-283).

1.4مفهوم التنظيم الحرفي:

يشير مفهوم التنظيم الحرفي إلى مختلف القيم والمعايير، والمعتقدات والأعراف المشتركة بين الحرفيين، والتي تحدد توجههم وسلوكهم التنظيمي وتضمن أداء العمل الحرفي بشكل منتظم ومتناسق وحتى يتضح

هذا المفهوم في معناه الإجرائي، لابد في البداية من تحديد مفهوم التنظيم وإبراز أهم خصائصه ووظائفه فالتنظيم (organisation) حسب موسوعة لالاند الفلسفية له أربع تفسيرات. (خليل، 2001، صفحة 922).

1) سمة ما هو منتظم.

2) مجموعة مكونة من إجراء مختلفة متعاونة.

3) الطريقة التي يجري هذا التعاون بموجبها.

4) فعل منتظم.

وفي هذا السياق يعرف تالكوت بارسونز التنظيم على انه وحدة اجتماعية تقام وفقا لنموذج بنائي معين لكي تحقق أهدافا محددة، وقد انطلق بارسوتر من تصور التنظيم بوصفه:"نسقا اجتماعيا يتألف من انساقا فرعية مختلفة كالجماعات والأقسام والإدارات، وان هذا التنظيم يعد بدوره نسقا فرعيا يدخل في إطار نسق اجتماعي كبير واشمل كالمجتمع. (لطفي، 1993، صفحة 5)

فالتنظيم بهذا المعنى يقوم أساسا على التعاون والتآزر بين أعضائه كما يشكل انسجاما من أهداف الشخصية والأهداف الجماعية والتي تتمثل غالبا في الغايات التي يسعى التنظيم تحقيقها.

1.5 تعريف العمل عند ابن خلدون:

إن المقصود من العمل في نظره هو " ابتغاء الرزق " حسب التعبير القرآني وتعريف الرزق بالدقة الفقهية هو " الحاصل أو المقتنى من الأموال بعد العمل والسعي، إذا عادت على صاحبها بالمنفعة وحصلت له ثمرتها من الإنفاق في حاجاته"، وقد بني ابن خلدون هذا التعريف على ما كان يراه الفقهاء في الموضوع وزاده تثبيتا بالحديث الذي يقول:" إنما لك من مالك ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت ".

هذا وان كان الحديث يشير إلى قاعدة أخلاقية تنبه إلى حدود الحاجيات الإنسانية، وتوصي الناس ألا يتهافتوا على طلب الأموال الأرزاق والمكاسب، ويذهب في ذلك إلى أن الإنسان لا يعمل من أجل سد الحاجات فقط بل تظل له تطلعاته إلى المستقبل. (مزيان، 2007، صفحة 337)

2. مكانة العمل الحرفي في المجتمع الإسلامي:

1.2 قيمة العمل في الجاهلية والعهود القديمة:

اعتبر قسم من العرب الجاهلية الحرفة أو الصنعة من الأمور المستهجنة، حيث نظروا إلى العربي الحر الشريف أن لا يكون صانعا لان الصنعة في نظرهم خاصة بالعبيد والخدم والأعاجم والمستضعفين، وهذا لما فيها من قيد الحرية وحوكمته وقيل أنهم إذ أرادوا تحقير إنسان وسب لكتمه تكون مجمع السباب، قالوا:"بابن الصانع" . (واضح، 1981، صفحة 15).

كما أن في العهود القديمة وبخاصة عند الإغريق والرومان، إذ كان ينظر إلى العمل بوصفة استعبادا للإنسان وأصل بؤسه، وعقابامن الآلهة مسلط على الجنس البشري، فقد اعتبر الرومان العمل اليدوي عذابا يصيب العبيد وعلى المواطنين أن " يستغلوا أوقاتهم في السياسة ووضع القوانين وإتقان فنون الحرب وممارسة الرياضة ". (الجابري، 1971، صفحة 529)

وهذه النظرة السلبية للعمل نجدها حاضرة حتى في الفلسفة اليونانية، حيث تم احتقار العمل من طرف مجموعة من الفلاسفة أمثال"أفلاطون" و"أرسطو" ولعل هذا الاحتقار يجد تبريره في طبيعة المجتمع اليوناني الذي كان يتميز بتراتيبه صارمة، العبيد في أسفل السلم الاجتماعي بجانب الصناع والحرفيين بينما احتلت الفلسفة والتأمل النظري مرتبة رفيعة باعتبارهما"عملا فكريا خالصا غايته تفسير الكون والحياة الأساسية". (مطر، 1998، صفحة 23)

وفي الفلسفة الحديثة كذلك، واصل "ديكارت" تلك النظرة التحقيرية للعمل وخاصة العمل اليدوي، باعتباره لا يرتقى إلى مستوى العمل الفكري وبالتالي فهو ينعكس سلبيا على ماهية الإنسان "كعقل يمتلك صفة التفكير. (بواتان، 2014، صفحة 176)

2.2 قيمة العمل في الإسلام:

لقد جاء القران الكريم زاخرا بالآيات التي تحث على العمل وتؤكد أهميته للمجتمع وأبنائه، وسد كل ثغرة قد تتجه إلى مسألة، كما تضع الحوافز لكل عمل يباشره الفرد مهما كان صغيرا محتقرا لدى بعضهم، ويفضل العمل مهما كان شأنه على البطالة والكسل والعيش عالة على حساب الآخرين ومن الآيات الدالة على أهمية العمل ومشروعيته: قوله تعالى:" هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ". (سورة الملك الأية 15).

وعليه يعتبر العمل هو العنصر المحدد لوجود الإنسان، وتحقيق ذاته وشخصيته وممارسة حياته وإشباع حاجاته وهو مصدر الكرامة الشخصية والاستقرار الاجتماعي، وعندما جاء الإسلام وجد العرب يحتقرون الصناعات وأهلها كما ورد في التراث، وقد حاول الرسول "ص" تغيير المفهوم الخاطئ لدى العرب عن الصناعات سواء بالتوجيه الكريم أو بتطبيق لبعض الأمور التي تخالف هذا المفهوم عند العرب، حتى يرى أصحابه منه ذلك وبالتالي يقتدون وينقلون ذلك إلى الناس، إذ كانوا لا يستجيبون لصانع إذا دعاهم إلى طعام ولكن رسول الله عليه الصلاة والسلام كان يخالف ذلك، فحينما دعاه خياط في المدينة إلى الطعام استجاب الرسول الكريم لدعوته واصطحب معه انس بن مالك رضي الله عنه، وقد وضعت معظم كتب الحديث أبوابا عن الكتب والعمل باليد فقد وضع البخاري في كتابه الصحيح بابا سماه " باب كسب الرجل من عمل يده "، وبالنظر إلى سيرة الأنبياء والرسل نجد كل واحد منهم أتقن من المهن والحرف ما كان مصدر رزقه فهذا نوح عليه السلام كان نجارا وهذا إبراهيم خليل الله يمتهن الرعي، وهذا إدريس

يشتغل خياطا، وهذا داوود يشتغل خواصا، وهذا يوسف قيما على خزائن مصر، وهذا زكريا يمتهن التجارة، وهذا موسى كليم الله يشتغل أجيرا عند شعيب ثم راعيا وهذا محمد حبيب الله يمتهن الرعي ومن بعده يحترف التجارة.

ومن هذا كله نجد أن الإسلام حث على العمل واكبر دليل على ذلك قوله تعالى : " وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ". (سورة التوبة الأية 105).

وفي مقابل هذا كله نجد أن الرسول"ص" عمل على تصحيح المفاهيم المغلوطة التي كانت عند العرب في الجاهلية من احتقار لبعض الحرف والإعمال اليدوية، ورفع من قيمة العمل المشروع بغض النظر عن نوعه، وفي المقابل حذر في البطالة ونهي عنها مهما كانت دواعيها وأسبابها، حتى انه جمع الحطب وبيعه على حقارته عند عرب الجاهلية خير من مسالة الناس، فهو القائل"عليه الصلاة والسلام :"لان يأخذ أحدكم أصلا فيأخذ حزمة من حطب فيبيع فيكف الله به وجهه خير من أن يسال الناس أعطي أم منع" رواه البخاري في صحيحه. (العسقلاني، 1986، صفحة 57).

وعلى هذا الأساس، فالعمل الحرفي (كتنظيم اجتماعي وثقافي)، إضافة إلى كونه فضاء للإنتاج فهو أيضا فضاء للتعلم والابتكار، لاكتساب الهوية وتحقيق الذات لإنتاج القيم والمعايير الحرفية أي فضاء لتلك العمليات الاجتماعية التي تساهم في بناء الهوية الاجتماعية للأفراد". (امعمري، 2006، صفحة 197)

ومن أهم خصوصيات العمل بصفة عامة والعمل الحرفي بالخصوص، انه يعتمد في صيرورة عمليات إنتاجه على مجموعة من الأعراف والتقاليد المتوارثة، التي كانت تمارس في المجال الحرفي والتي تساعد الحرفيين في تحديد توجهاتهم وسلوكياتهم التنظيمية، والتي تضمن أداء العمل الحرفي بشكل منتظم ومتناسق، وبناءا على هذا أردنا التطرق إلى التنظيم الحرفي بداية بتوضيح أشكاله وأهميته في المجال.

3. الشكل التنظيمي للعمل الحرفي:

كان لكل حرفة شيخ أو رئيس أطلق عليه اسم الأمين بالمدينة، ويعين على رأس كل طائفة عن طريق الاختبار أو الانتخاب بحضور منتخبين وبالتعاون مع أصحاب الحرف ويكون ممثلا للحرفة. (الحسن، 2008-2009، صفحة 163)

وهذا يدل على أن الدولة تتدخل في اختيار الرؤساء وشيوخ الحرف أو أنها تشرف الإشراف الدقيق على المهن وحسن سير الأمور فيها، وهذا الشيخ يعد الخبير الفني للمهنة أو الحرفة ورأيه استشاري وهو مقبول عند القاضي أو المنتخب، وهو الذي يقوم بإبلاغ الطائفة الحرفية بالمعلومات المطلوبة عن

السلطة التي تخص مهنته كما يؤخذ رأيه في تحديد كلف السلع وثمنها في أثناء البيع أو التقدير وغير ذلك من أمور متعلقة بالمهنة.

ولعل من واجبات الأمين أو الشيخ : النظر في شؤون الطائفة والسهر على مراقبة الصناع، ومدى احترامهم لقواعد الحرفة، ومعاقبة كل من يخالف أصولها فعلى سبيل المثال إذا أنتج النساج قطعة قماش تخالف مقاييس الطول والعرض، أو غش في مادة النسيج وخرج عن المتعارف عليه في ذلك، يقوم الأمين بمصادرتها وتمزيقها. (دوري، 1987، صفحة 68)، ويعلقها في قارعة السوق حتى تكون عبرة لمن تحاكيه نفسه بذلك، كما يساعد الجباة على تحصيل الضرائب وكان وسيطا ومخاطبا رسميا لفض الخصومات بين أهل الحرف والزبائن أو مع أجهزة الدولة، بالإضافة إلى كونه مسؤولا عن تبليغ مشاكل الحرفة والحرفيين إلى الأطراف المسؤولة في الدولة. (المجليدي، بدون تاريخ، صفحة 56).

وهذا ما أطلق عليه بنظام الحسبة الذي انفردت به الدول الإسلامية، لماله من دور كبير في تكوين عناصر المدينة والحفاظ عليها من خلال المراقبة المستديمة والمتواصلة للنشاطات المختلفة داخل المدينة.

ويعرفها ابن خلدون:" بأنها وظيفة دينية من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو فرض على القائم بأمر المسلمين "، يعين كذلك من يراه أهلا به، فيتعين فرضه عليه ويتخذ الأعوان على ذلك ويبحث عن المنكرات ويعزز ويؤدي على قدرها، ويحمل الناس على المصالح العامة في المدينة مثل: المنع من المضايقة في الطرقات ومنع الحمالين وأهل السفن من الإكثار في العمل والحكم على كل المباني المتداعية للسقوط بهدمها وإزالة ما يتوقع من ضروها على السايلة. (ابن خلدون، بدون تاريخ، صفحة 220).

ومن هذا كله أعطي للتنظيم الحرفي طابع اجتماعي وإنساني، باعتباره يقوم على المراقبة والمتابعة لأنه يعبر عن سلوكيات تنظيمية يحكمها الضبط وهذا ما سنتعرف عليه من خلال إعطاء مفهوم للتنظيم الحرفي.

4. العمل الحرفي وتصنيفه في المجتمع الإسلامي:

يعد العمل الحرفي من أهم مظاهر النشاط الاقتصادي في المجتمع الإسلامي، لذلك أولى لها المفكرون المسلمون جانبا من اهتمامهم وعنايتهم، وحاولوا تصنيفها وتبيان أنواعها وفق أسس متعددة ومختلفة، وهذا ما نجده في(رسائل إخوان الصفا) وفي كتاب (إحياء علوم الدين) للغزالي وفي كتاب (الإشارة إلى محاسن التجارة) للدمشقي وفي (مقدمة ابن خلدون). **(جهاد، بدون تاريخ، صفحة 16)**

ويلاحظ أن إخوان الصفا في تصنيفهم لطبقات المجتمع، قد صنفوا الناس على أساس مادي حسب عملهم ودخلهم، فالناس في نظرهم كلهم صناع وتجار، أغنياء وفقراء، فالصناع: هم الذين يعملون بأبدانهم يعيشون من بيع ما ينتجون، والتجار هم الذين يتبايعون بالآخذ والإعطاء، وعرضهم طلب الزيادة فيما يأخذونه على ما يعطون والأغنياء: هم الذين يملكون المواد الأولية والمنتجات الصناعية والفقراء هم

المحتاجون إليها. أما الحرف والصنائع فقد صنفها إخوان الصفا وفق أسس متعددة ومختلفة فصنفوها حسب موضوع الصناعة إلى نوعين:

1.4 الصنائع الروحانية: وتشمل المهن الفكرية(العلمية).

2.4 الصنائع الجسمانية: وتشمل الحرف االيدوية (العملية) وهذه صنفوها إلى:

1.2.4 صنائع يكون موضوعها بسيطا:

كالماء (مثل صناعة الملاحين، السقائين والروائين والسباحين...الخ) والتراب (مثل صناعة حفار الآبار، والأنهار والمعادن .....الخ)، والنار(مثل النفاطين والوقادين والمشعلين)، والهواء (مثل الزمارين والبواقين، والنفاخين) وأجمع الماء والتراب معا (مثل الفخارين والغضارين والقدوريين وضرابي اللبن وكل ما يبل التراب).

2.2.4.صنائع يكون موضوعها مركب وهي ثلاثة أنواع:

الأجسام المعرفة(مثل صناعة الحدادين والصفارين والزجاجين والصواغين) والنباتات والصناعات من هذا النوع إما أن تتناول أصول النبات من الأشجار والقضبان والأوراق مثل(صناعة النجارين والخواصين والحصريين، والبوارين والأقفاصين ومن شاكلهم) أو تتناول لحاء النبات (مثل الكتانين ومن عمل القنب والكاغد ومن شاكلهم)، أو تتناول ورق الأشجار والحشائش وزهر النباتات وعروقها وقشورها أو تتناول ثمر الأشجار وحب النبات مثل(الدقاقين، والرزازين، والعصارين وكل من يخرج الأذهان من ثمر الشجر وحب النبات) والحيوان(مثل صناعة الصيادين ورعاة الغنم والبقر، والبياطرة .....الخ)، أو تتناول إنتاج الحيوان (مثل صناعة القصابين، والشوائين، والذباغين والأساكفة، والخرازين) أو مقادير الأجسام (مثل الوزانين والكيالين). ومن الصنائع ما موضوعها أجساد الناس لصناعة الطب والمزينين نفوس الناس كصناعة المعلمين. (اخوان، 1957، الصفحات 285 - 286) وصنف إخوان الصفا الصنائع حسب فائدتها وأهميتها للمجتمع كمايلي:

3.4 . صنائع ضرورية: كالزراعة والحياكة والبناء.

1.3.4صنائع تابعة لها وخادمة:(أي للصنائع الضرورية) أو متممة أو مكملة لها فمثلا صناعة الحياكة ضرورية ومهمة للإنسان، إلا أنها لا تتم إلا بصناعة الغزل، وصناعة الغزل لا تتم إلا بصناعة لحلج فصارت صناعة الغزل وصناعة الحلج تابعة وخادمة للحياكة.

4.4.صنائع للجمال والزينة: كصناعة الديباج والحرير وصناعة العطور. (اخوان، 1957، الصفحات 284 - 285)

وصنفوا الصنائع تصنيفا ثالثا حسب استخدام الصناعة للنار كصناعة الحدادين والصفارين، والزجاجين والجوارين والخضارين والطباخين والشوائين والخبازين، وصنفوها تصنيفا رابعا حسب الآلات والأدوات المستعملة فيها وخامسا حسب قيمة إنتاجها مثل صناعة الذين يعملون آلات الرصد كالإسطرلاب، فإن قطعة من الصفر قيمتها خمسة دراهم إذا عمل منها إسطرلاب يساوي مائة درهم. (اخوان، 1957، الصفحات 287 - 288)

أما الغزالي فقد قسم " الصناعات والحرف " إلى: صناعات ضرورية (مهمة)، وصناعات ضرورية (كمالية) وهي ما يستغنى عنها لرجوعها إلى طلب النعم والتزين الدنيا كصناعة النقش، وتشيد البنيان بالحصى، وصنفها من النظرة الاجتماعية إلى صناعات مستحبة (كالخياطة والنجارة والحدادة والتجارة والوراقة)، وصناعات غير مستحبة (كالدباغة، والكناسة والجزارة والدلالة...الخ). (الغزالي، بدون تاريخ، الصفحات 83-84)

- واما الدمشقي فقد صنف الصنائع إلى:

5.4. صنائع علمية: وتشمل المهن الفكرية (كالفقه والنحو والهندسة).

6.4.صنائع عملية وتشمل المهن اليدوية: (كالحياكة والفلاحة ومشط والصوف والكتان) وهذه يمكن أن تمارس بعد تدريب بسيط.

7.4.صنائع مركبة منها(أي علمية وعملية): كالطب والفروسية والكتابة ومن ناحية صحية صنفها إلى: صنائع مضرة بالعقول والآراء وهي التي يخالط فيها الصناع النساء والصبيان وصنائع مضرة بالأدمغة والأجسام مثل الأشياء المنبتة والسمك والغبار كصناعة الكيال والمغربل والأعمال الشاقة مثل حمل الأثقال كما صنفها من ناحية النظرة الاجتماعية إلى: صنائع شريفة وصنائع فنية.

-وأما ابن خلدون فقد قسم الصنائع حسب ضرورتها إلى:

8.4.صنائع بسيطة: وهي الصنائع الضرورية التي يحتاجها المجتمع الحضري والبدوي على حد سواء كالخياطة والحدادة، والنجارة والحياكة والجزارة.

9.4.صنائع مركبة: وهي الصنائع الكمالية التي أوجدتها أحوال النعيم والترف وهذه تنفرد بها المجتمعات المتقدمة والمتحضرة بقول ابن خلدون: فإذا نمت المدينة وتزايدت فيها الأعمال ووقت بالضروري وزادت عليه صرف الزائد حينئذ إلى الكمالات من المعاش. (ابن خلدون، بدون تاريخ، الصفحات 923-924).

وفي موضع آخر يقول وما يستدعي لعوائد الترف وأحواله، فإنما يوجد في المدن المستعبدة في العمارة والآخذ في عوائد الترف والحضارة: مثل الزجاج والصائغ والدهان والطباخ، والصفار والفراش

والدباج وأمثال هذه وهي متفاوته وبقدر ما تزيد عوائد الحضارة وتستدعي أحوال الترف تحدث صنائع لذلك النوع . (ابن خلدون، بدون تاريخ، الصفحات 923-924).

كما أشار ابن خلدون إلى (أمهات الصنائع) وصنفها إلى نوعين: صنائع ضرورية في العمران كالفلاحة والبناء والخياطة والنجارة والحياكة، وصنائع شريفة بالموضوع كالتوليد والكتابة والوراقة والغناء والطب وما سوى ذلك من الصنائع تابعة ومتممة لها. (ابن خلدون، بدون تاريخ، صفحة 931).

ومن خلال ما سبق ذكره تتأكد وجهات النظر المختلفة حول تصنيف الأعمال في رمتها، وذلك راجع لتعدد زوايا الرصد واختلاف المرجعيات الفكرية والأيديولوجية التي تتناول مفهوم العمل بصفة عامة.

5. أهم الحرف التي عرفها المجتمع الإسلامي:

لقد عرف المسلمون عدة صنائع ومارسها، وهذا راجع لضرورتها في الحياة، ونجد من بين الحرف التي كانت متداولة بينهم، النجارة والحدادة والحياكة والنساجة والخياطة والصياغة والدباغة والبناء ونحوها.

وهذا التنوع الزاخر دليل على تعظيم الإسلام للعمل، ورفع من شان صاحبه أيا كان نوع العمل الذي يقوم به مادام في حدود الشرع الله وعليه تفصيلا كبيرا في هذه الصنائع والتي ورد منها:

1.5.حرفة النجارة والأخشاب :

فالنجار هو الذي ينجر الخشب، فيقوم بنشره وحفره وإصلاحه وعمله غلى النحو المطلوب، ومادة الخشب كما قال عنها ابن خلدون: "هذه الصناعة من ضروريات العمران، وما مادتها الخشب ..... ثم يعد ذلك منافع أخرى لأهل البدو والحضر، فإما أهل البدو فيتخذون منها العمد والأوتاد لخيامهم والحدوج لظعائنهم والرماح والقسيّ والسهام لسلاحهم، وأما أهل الحضر فلسقف بيوتهم "واستخدم الخشب في صنع أثاث البيت، وفي كثير من الأدوات المستخدمة في حياة الإنسان، وقد عثر على بعض مصنوعات من الخشب استخدمت أثاثا، كما ورد ذكر الأثاث في القران الكريم:" وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِئْيًا ". (سورة مريم الأية 74).

وورد ذكر السرر (جمع سرير) في مواضع عدة من القران الكريم منها: " وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ ". (سورة الزخرف الأية 34).

وورد ذكر الكرسي أيضا بقوله تعالى:" وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ". (سورة ص، الأية 34).

وهذا إن دل إنما يدل على القيمة الرفيعة لهذه الصنعة كباقي الصنائع الأخرى، وما بين لنا مدى حدق العرب المسلمين وذكائهم وتقدمهم في مهنهم، ما دفع بهم إلى تنويعها وتعدد إشكالها ونجد تداخل بين الصنائع والحرف فنجارة كانت تولد وسائل خشبية، تحتاجها صنائع أخرى في حرفته وها هي النساجة

تأخذ من النجارة من أخشاب، ينسج عليها منتجوها عديدة وهذا ما سنتعرف عليه في الحرف الموالي هانا وهي النسيج.

2.5.حرفة النسيج والحياكة الألبسة:

يبدوا أن هذه الصناعة هي الأخرى اخدت نصيبها من المهن التي عرفها المسلمون، لما لها من قيمة ودور في الحياة كما قال عنها هي الأخرى ابن خلدون " صناعة الحياكة والخياطة، هاتان الصناعتان ضروريتان في العمران لما يحتاج إليه البشر من الرفة، فالأولى لنسيج العزل من الصوف والكتان والقطن إسداء في الطول وإلجاما في العرض لذلك النسيج، بالالتحام الشديد فيتم منها قطع مقدرة .... ثم تلحم تلك القطع بالخياطة المحكمة ... وهاتان الصناعتان قديمتان في الخليفة .... ينسبها العامة إلى إدريس عليه السلام، وهو أقدم الأنبياء. (ابن خلدون، بدون تاريخ، صفحة 411).

وقد ورد في القران الكريم : وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۙ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ". (سورة النحل، الأية 80).

وهذا ما يدل على أن العرب المسلمين كانوا يصنعون من الأصواف والاوبار والإشعار أثاثا من ملابس وبسط وسجاجيد وغيره. كما أن النساء مارسن هذه الصنعة من غزل وحياكة إلى جانب الرجال وهذا ما قامت به المرأة المسلمة العربية بغزل ونسج للخيام، سواء كانت من سيدات القوم أو من أوسطهم أو من أفقرهم. **(واضح، 1981، صفحة 35)**.

وصناعة النسيج والحياكة عند العرب، لم تكن مقتصرة على حياكة ونسج الألبسة والثياب والستائر بل تعدتها إلى البسط والسجاجيد ولم يبال رجال مكة من الاشتغال بالصناعات فقد اشتغل قوم منهم بالبزارة واشتغل بعض منهم بالخياطة، فكان العوام أبو الزبير خياطا وعثمان بن أبي طلحة هو الأخر خياطا، وعليه يتضح من ما سبق إن صناعة النسيج والغزل والحياكة مارسها العرب ونسجوا منها بعض أنواع الملابس والخيام والحبال، وأغطية الرأس والبسط والعباءات وغيرها.

3.5.حرفة المعادن والتعدين:

عرفت هذه الصناعة في المجتمع الإسلامي، وذلك للحاجة الملحة لها استخدمها في أمور حياتهم من حربية وزراعية ومنزلية، فانصرفوا إلى الاشتغال بها وتحويلها إلى أشياء نافعة، وعملوا على تنقيتها وخلط المعادن لإيجاد أنواع جديدة منها، وقد ذكر في القران الكريم سورة الحديد رقم 57 وفي نفس السورة الاية 25 جاء فيها " .... وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ " (سورة الحديد، الأية 25) وفيها إشارة إلى وجود الحديد وإلى فائدته، وقد ورد ذكر الحديد في آيات أخرى منها: "آتوني زُبَرَ الحَديدِ "

(سورة الكهف، الأية 96)، " وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ ". (سورة الحج، الأية21)، و" يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ " (سورة السبا، الأية 10) و" قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوحَدِيدًا ". (سورة الإسراء، الأية50)

ولعل كثرة معدن الحديد في بلاد المسلمين وتنوعها جعل منها مكان غني بالثروات الطبيعية واشتهارها به، وما يدل على ذلك قبيلة بني سليم التي اشتهرت بصناعة الحديد، اشتهروا بصهره وتنقيته. (حسين، بدون تاريخ، صفحة 109)، وقد مارس العرب مهمة الحدادة وقيل " ناول من عمل الحديد من العرب المالك بن مراد بن أسد بن خزينة، فلذلك قيل لبني أسد القيون وقيل لكل حداد: هالكي ". (العمدة، 1992، صفحة 232).

وذكر الإخباريون "أن من بين أصحاب الرسول من كان فينا مثل خباب بن الارت ذكر انه كان يشتغل للعاص بن وائل وعقبة بن أبي معيط، والوليد بن مغيرة وأبي بن خلف وكان خباب يضرب سيوف الحياد حتى نسبت إليه ومن الحدادين الأعاجم الدين ذكرهم أهل الإخبار، الأزرق بن عقبة ذكر انه كان روميا حداد. (جواد، بدون تاريخ، صفحة 555) .

وعملوا على صنع أشياء كثيرا منها النضال من الحديد، وهي حديد السهم والرمح وصنع المطرقة واستخدم أهل الفلاحة منهم آلات حديدية متنوعة لها في ذلك سكة المحراث، وكان العرب يستخدمون الجمل في جر المحراث وفي انتشال الماء من الآبار معتمدين في ذلك كله على وسائل وآلات حديدية.

وبالإضافة إلى مادة الحديد عرفت البلاد العربية معادن أحرى مثل النحاس والذهب والفضة، وعرفوا بدقة الصنعة فيها إضافة إلى صناعة سك النقود من الذهب والفضة والنحاس.

4.5.حرفة الفخار والخزف:

قد كرم الله عز وجل الفخار وذكره في القران الكريم في الآية 14 من سورة الرحمن التي نصها:" خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ" فالله سبحانه خالق كل شيء، شبه خلق الإنسان بصنع الفخار وهذا شرف عظيم من الله تعالى للفخار وبمادته الأساسية الصلصال أو الطين الذي خيره الله عن غيره من المواد واستعمله في خلق ادم بيده وصورة وسواه ونفخ فيه من روحه فسرت فيه نسمة الحياة وصار يشير سويا تام الخلق في حين أنه عز وجل يقول للشيء كن فيكون.

والفخار عرف قدره وأهميته منذ زمن بعيد وكان استخدامه حدثا هاما في حياة الإنسان، فأعتمده الإنسان في بناء مسكنه وكذلك استعمله كدواء لعلاج جروحه وتطهيرها وحمايتها من الجراثيم. وبمرور الزمن عرف الإنسان ضرورة خزف في غذائه، والخاصة في أوعية فاستعمل الجلد والخشب وكانت الأوعية تطلى من الخارج والداخل بالطين لمنع التسرب السوائل منها ودخول الحشرات إليها، وبعد ذلك استعمل الطين في تشكيل بعض الأوعية، التي استخدمها وهي في حالة صلصال مكتفيا بتحقيقها على أشعة الشمس ولا شك في أن سقوط قطعة من الطين في الموقد صدفة جعل الناس يكتشفون أن الطين

يتصلب لدى تعرضه لدى لحرارة النار، ويتحول إلى مادة صلبة غير قابلة للتحلل في الماء فصارت عملية التصلب تحت تأثير النار هي المطلب النهائي وتعد هذه المرحلة من مراحل تكوين الجسم الطيني الصلب الذي أصبح يطلق عليه اسم"خزف" أو " فخار" أو "عضار" وتسمى هذه المرحلة بالتسوية (la cuisson). (عزوز، 2004، الصفحات 11-12)، ولم تبلغ صناعة الخزف شأنا كبيرا عند العرب إلا عندما انتشر الإسلام الذي وحد كلمتهم وجمع شملهم، فقامت بفضلهم دولة إسلامية واسعة الإرجاء ضمت شعوبا كثيرة لها حضارات وفنون مختلفة، تأثرت بروح الإسلام وبالذوق العربي.

وقد ازدهرت الصناعات والفنون في العهد الإسلامي ازدهار كبيرا يرجع إلى عناية الدين الإسلامي بها وحرصه على أن تكون جميلة متقنة ومحققة لوظيفتها على أحسن وجه.

واهتم المسلمون بصناعة الخزف، لأنها من مستلزمات الحياة كبناء المساجد والمنازل والحمامات وإنشاء المدارس والمستشفيات وعليه ازدهرت هذه الصنائع وبلغت درجة كبيرة من الإبداع والكمال.

خاتمة:

وما نستشفه في الأخير، بأن العمل الحرفي من المواضيع التي اولت لها الانثروبولوجيا عناية خاصة، وهذا ما تفسره العلاقات الإجتماعية بين الحرفيين والجماعات الحرفية وكذلك في ارتباط معنى الوظيفة بمعنى البناء الذي عرفه راد كليف بروان: "على انه مجموعة العلاقة الاجتماعية التي تربط كل افراد المجتمع في فترة زمنية معينة....." وهذا ما يؤديه العمل الحرفي كتنظيم اجتماعي في شكل وظيفة ظاهرة تؤدي دورها ضمن وحدة بنائية الا وهي المجتمع الاسلامي هذا من جهة ومن جهة اخرى ما تؤكده السنة النبوية في تعظيم الاسلام للعمل الحرفي ورفع شأن صاحبه آيا كان نوع العمل الذي يقوم به مادام في حدود الشرع وهذا نظر لأهميته داخل المجتمع.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

ابن رشيق العمدة. (1992). دار الجيل.

ابو حامد محمد بن محمد الغزالي. (بدون تاريخ). *احياء علوم الدين*. بيروت لبنان: دار المعرفة للطباعة والنشر .

احمد المجليدي. (بدون تاريخ). *التسير في أحكام التسعير*. الجزائر: الشركة الوطنية للتوزيع والنشر.

احمد بن علب بن حجر العسقلاني. (1986). *فتح الباري شرح صحيح البخاري*. دار الريان للنشر والتوزيع

الخراز عزوز. (2004). *صناعات الخزف*. تونس: أوتيك بيرزنت.

الشدادي عبد السلام. (2005). *مقدمة ابن خلدون*. الدار البيضاء بين العلوم والفنون والاداب.

الصمد واضح. (1981). *الصناعات والحرف عند العرب في العصر الجاهلي*. بيروت لبنان: مؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

(المؤرخ في 14/01/1996). *الامانة العامة للحكومة, الامر 96_01* ، 5.

اميرة حلمي مطر. (1998). *الفلسفة اليونانية تاريخها مشكلتها*. القاهرة مصر: دار النشر قباء.

خليل احمد خليل. (2001). موسوعة لالاند الفلسفية. دار النشر المنشورات عويدات.

سمير كرم. (1987). الموسوعة الفلسفية. بيروت: دار النشر الطليعة.

صفاء اخوان. (1957). *رسائل الإخوان الصفا وخيلان الوفا*. بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر.

طلعت ابراهيم لطفي. (1993). *علم الاجتماع التنظيم*. القاهرة مصر: دار غريب للنشر والتوزيع.

عائشة غطاس. *الحرف والحرفيين في الجزائر1830 الى 1945 مقاربة اجتماعية اقتصادية*. جامعة الجزائر.

عبد الرحمان ابن خلدون. (بدون تاريخ). *المقدمة*. دار الأحياء التراب العربي.

عبد العزيز دوري. (1987). *مقدمة في تاريخ الاقتصادي العربي*. بيروت لبنان: دار النشر الطليعة.

عبد المجيد مزيان. (2007). *النظريات الإقتصادية عند إبن خلدون*.

لحبيب امعمري. (2006). *التغير الاجتماعي ورهانات العولمة*. الرباط المغرب: دار مابعد الحداثة الرباط.

محمد عابد وآخرون الجابري. (1971). *دروس الفلسفة لطلاب البكالوريا المغربية*. الدار البيضاء المغرب: دار النشر المغربية.

مروة حسين. (بدون تاريخ). *نزاعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية*.

مغار مولاي الحسن. (2009-2008). اطروحة دكتوراه بعنوان الحرف والحرفين بالمغرب الاقصى خلال عصر المرين. مكناس المغرب، جامعة مولاي اسماعيل.

يوسف بواتان. (2014). خصوصيات التنظيم الحرفي التقليدي مقاربة سوسيو-انثروبولوجية(حرفة النحاس بمدينة فاس المغربية نموذجا). *مجلة اضافات* (27-26).

Michel, Lallement le travail une sociologie contemporaine France: Ed Grallimard, 2007.